حوارٌ متصنَّعٌ

١٢ شوال ١٤١٦

بســـــم الله الرحمن الرحيم

هذه محاولة لِتَصنُّع حِوار قُصد بها تجربة أسلوب واقعي للتعامل مع المسائل العقائدية...

ولأن الساحة الأولى لـهذه التجربة كانت النساء، افترضتُ الـحوار بين فتاتين: فتاة اسمهـا (جاهزة) مثقفة بالثقافة الدينية الرائجة، تتعامل مع الدين كمسائل ذهنية متجزّئة متفرقة! وتتحمس لكل واحـدة منها وإن لم تكن متجانسة!... ثم تستعمل الأسلوب المتعارف في النقاشات الدينية...

وفتـــاة أخرى اسمها (شاهدة)، تنطلق من نفسها للتعـامل مع الدين فترى المسـائل مترابطة متعـانقة لا يمكن فصل بعضها عن بعـض، وتناقشها بطريقة مختلفة

إنْ أُرِيدُ إلاّ الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلاّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

محمد علي باقري

٣ شهر رمضان ١٤١٦

بســـــم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام علي محمد وآله الطاهرين

****

(جاهزة):- كم أتمنى وأدعو الله أن يظهر الإمام القائم (ع)...

(شاهدة):- وأنا أيـضا، ولكن ماذا تريدين منه؟

(جاهزة):- لا شيء غير أن يظهر فيملأ الأرض قسطا وعــدلا ويحكّم دين الله سبحانه، ... أليس هذا أمنيــة كل مؤمن؟ وهل تريدين أنت مـنه غير هذا؟

(شاهدة):- أما أنا فإني أيـضا أنتظر قيامه ليكون الدين كله لله...، ولكني أتمنى الزواج منه أيـضا!

(جاهزة):- هكذا صريحا... وبلا خجل؟!

(شاهدة):- إني أتمنى هذا وذاك، فقلت ما تمنّيتُه بصراحة...

(جاهزة):- لا يصح أن تبوح المرأة الرزينة بهذا النوع من الأمنيات...، فكيف بفتاة تدّعي الإيمان وحبّ الله، فإنها لو كانت صادقة فيما تدعي وكانت فانية في الله وذائبة فيه لما خطر في بالها أي شيء من هذه الأحاسيس التافهة الحقيرة الملهية عن ذكر الله سبحانه، إني أدعوك لاستماع محاضرات (...) وقراءة كتاب (...)، فستستقذرين حينئذ هذا النمط من الأحاسيس التي ذكرتِها...، ثم إن تمنيك الزواج من الإمام (ع) إساءة إلى مقامه الشريف أيضا فاستغفري الله منها

(شاهدة):- كنت من السامعين لبعض محاضرات (...) ولأحاديث مشابهة لأناس آخرين، وكنت من القارئين لكتاب (...) ومقالاتٍ مماثلة أخرى، ولكني لم أخرج من أيّ منها بما يجعلني أستقذر أحاسيسي الطبيعية وأستحيي منها، وعلى أي حال فهل تعتقدين أن الإمام (ع) لا يتزوّج بتاتا ليكون تمني الزواج منه إساءة إليه؟

(جاهزة):- إنه قد يتزوّج، وربما يكون متزوجا فعلا غير أن زواجه ليس من النوع المتعارف الذي تتصورينه أنت وتتمنينه، إن الفرق بين زواج الإمام وبين زواج الناس كالفرق بين الإمام وبين الناس كما قال الإمام علي عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة: « لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ »، أ فَهِمتِ؟!

(شاهدة):- هذا الكلام هو الآخر مما لا أفهم له معنى تعرفه نفسي، ويا ليتني فهمته كذلك، أقصد كلامك أنت لا ما نقلْتِه من النهج فإني أجد له معنى معروفا لنفسي

(جاهزة):- كيف لم تفهمي ما قلتُ ولم يكن في كلامي لُبس؟ فلأحاول معك مرّة أخرى لتفهمي

(شاهدة):- إني فهمت كلامك ككلام، فإنه كلام معروف ومتداول بصيغ مختلفة في كثير من المقالات والكتب. والذي لم أفهمه، ولا أراني قادرة على فهمه فهما صحيحا، هو ما قد أشرتِ إليه من الفرق بين نوعي الزواج، ولا أظنك تستطيعين إفهامي، فلا تتعبي نفسك...، فلنتكلم فيما أستطيع فهمه، ما رأيك؟

(جاهزة):- لا بأس اطرحي ما في بالك لأسمع

(شاهدة):- سمعت أن مؤمنا خَطَبَك أخيرا ولم تقبلي الزواج منه

(جاهزة):- لا أتذكره، فإن الذين خطبوني ورفضتُهم - وما زلتُ - كثيرون، ألم تعلمي بهذا الذي يعرفه عني كثيرون؟

(شاهدة):- ولكنه بتدينه العميق وأخلاقه العالية يختلف عن غيره، حسبما حدّثني به أخي الذي يعتبر صديقه المقرب وكان متألما من رفضك له، خصوصا وأنه هو الذي كان قد دفعه لخطبتك، ولم يكن يتصور أنك ترفضينه، إني أقصد ذلك المؤمن الذي قد خطبك عن طريق صديقتك (ناشطة)، هل تذكرتِه؟

(جاهزة):- بلى لقد تذكرته الآن: إنك تقصدين ذلك (...) . الحقيقة: ان أبي هو الذي لم يرَه مناسبا لي فرفضه، وإني أتعجب من أخيك كيف رشّحني لصديقه وهو يعرف أبي وشدته في هذه الأمور، كنت أتصور أخاك أعقل من هذا

(شاهدة):- إن أخي كان يعرف ذلك، ولكنه كان متأكدا من أنك سوف تُقنعين أباك الذي يعزّك كثيرا ولا يرفض لك طلبا، فكان موقفك السلبي مفاجأة له، بل مربكا لتصوراته عنك وعن أهل الدين عامة، وأنت تعرفين أخي باعتباره زوج أختك، وتعلمين كم هو حساس ومثالي

(جاهزة):- لم أحاول إقناع أبي، لأني أثق بفهمه، خصوصا وأنه يحبني كثيرا ويهتمّ بمستقبلي وراحتي

(شاهدة):- ولكن بما أن أباك ليس متدينا فمن الطبيعي أن يختلف مقياسه في تقييم الناس عن مقياسك أنت المتدينة، أليس كذلك؟

(جاهزة):- صحيح ذلك، ولكن أبي أعرف بشؤون الحياة مني وإني أقدّره كثيرا وأحترم آراءه. مضافا إلى أني لا أحب المشاكل المترتبة على الزواج من (...)، خصوصا فيما يرجع إلى الأولاد ومستقبلهم ما رأيكِ؟

(شاهدة):- أما المشاكل التي أشرت إليها فهي معروفة، وأما رأيي في هذا النوع من الزواج فلا أظنه يعنيك الآن، ولكن استوقفني ما ذكرْتِه قبل قليل من أن كثيرين يخطبونك وترفضين، وددت أن أعرف السبب خصوصا وأنت لست صغيرة، ألا تشعرين بأنك بدأت تكبرين؟

(جاهزة):- إني لا أحتاج الزواج في الحال الحاضر وأما الكبَر فلا أشعر به. أتخافين عليَّ من العنوسة؟ اصدقيني ولا تجاملي

(شاهدة):- العنوسة، إنها موجودة على أي حال، بل متفشية

(جاهزة):- أتعلمين ما هو سبب العنوسة الموجودة؟ إني شرحته في المحاضرة التي ألقيتها في (...) بعنوان: (الزواج في الإسلام) وتطرقت فيها إلى العنوسة فوضعت الدواء على الجرح كما يقولون، فياليتك حضرتها فقد كانت رائعة كما وصفتها الأخوات الحاضرات

(شاهدة):- أليس قد ذكرت في محاضرتك أن سبب العنوسة في المجتمع هو غلاء المهور وكثرة الشروط وأن العلاج هو ما دعا إليه الإسلام من تخفيف مؤنة الزواج وتقليل المهر، واستشهدتِ بقول الإمام الصادق عليه السلام: « من بركة المرأة خفة مؤنتها »؟

(جاهزة):- بالضبط، ولكن من هي التي حدثتك بما قلتُه في محاضرتي، أظنها أختك (هانئة) فقد كانت من أكثر الحاضرات إعجابا بالمحاضرة، ولعلها أو غيرها أعطتك المحاضرة فسمعتها أخبريني: كيف عرفت ذلك؟

(شاهدة):- لم أسمع ذلك من أحد، وإنما حدستُه باعتباره متداولا في جُلّ كتابات وأحاديث

الذين يتناولون هذه المسألة، فخمّنتُ أنك أيـضا قد سلكت نفس الطريقة..

(جاهزة):ـ لا أفهم ماذا تقصدين؟ هل لك نظرية أخرى غير ما قد ذكره مفكّرونا الكرام، والذي كنت قد ذكرته أنا في محاضرتي؟

(شاهدة):ـ إني لست من أصحاب النظريات، بل من أصحاب التساؤل إن صح التعبير، فلو أحببتِ أن أسألك بعض الأسئلة في مورد نظريتك حول أسباب العنوسة لفعلتُ

(جاهزة):ـ لا بأس، أذكري أسئلتك لأرد عليها بعون الله تعالى

(شاهدة):ـ حسنا نفترض أننا، وبقدرة قادر، استطعنا أن نجعل مصاريف الزواج ميسورة للجميع، أو نفترض أن هنـاك مؤسسة تقوم بتـأمين مؤنـة الزواج لـكل راغب، فهل أنت متأكـدة من أن ظاهرة العنوسة تزول بذلك عن المجتمع؟

(جاهزة):ـ نعم إني متأكدة من ذلك تماما

(شاهدة):ـ عجيب؟

(جاهزة):ـ ما هو العجيب؟

(شاهدة):ـ دعينا عن هذا، ولنكمل حوارنا فأقول: إذا خطبك الإمام القائم (ع) ورفـض أبوك لأن حياته صعبة، فماذا تفعلين؟

(جاهزة):ـ ما هذا الكلام؟ ما أظنك جادّة، ثم مَنْ قال لك أن حياة الإمام تكون صعبة؟

(شاهدة):ـ هكـذا أتوقع، مـضـافا إلى أني قد سمعت، بل قرأت التصريح بذلك في بعض الروايات أيـضا

(جاهزة):ـ إنها نظرة تشاؤمية للأمور، بل أمنية خادعة يتسلّى بها البؤساء الفاشلون بأن يكون الإمام (ع) بائسا مثلهم، كما أنهم بهذه الأكذوبة يجسدون حسدهم تجاه المتنعمين الناجحين في الحياة، بأن يُبعدوا الإمام عنهم انتقاما منهم، إنهم ـ بالطبع ـ لا يصرحون بأنهم إنما يبرّرون فشلهم بهذا النمط من القول، ويعكسون حقدهم على أناس أنعم الله عليهم، بل قد لا يكونون بأنفسهم منتبهين إلى أنهم إنـما ينقلون بذلك أمراضهم النفسية إلى الإسلام هو منها براء أليس الله سبحانه يقول: « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ »، ويقول: « **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا..** »

وأليس في الكافي قول الإمام الصادق عليه السلام: « إن الله عزّ وجلّ يحبّ الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتباؤس »، وغير ذلك من الروايات؟، وألم يكن الإمام السجاد عليه السلام - كمثال - يلبس الجبة الخزّ بخمسين دينارا، والمطرف الخزّ بخمسين دينارا، كما هو مذكور أيضا في الكافي مع روايات كثيرة أخرى؟ ..

إني أتعجب كيف تفكرين أنت بهذه الصورة التي لا يفكر بها إلا المعقَّدون، وأنت فتاة يتوفر لها كل شيء ولا ينقصها شيء، ثم وأنت مثقفة وتتمتعين بعقل رزين فأتعجب مرة أخرى كيف تفكرين بهذه الطريقة التي لا يقبلها عاقل، ثم وإني أحذرك من نشر هذا النوع من الأفكار التي تسبب اشمئزاز العالم الذي نحن نعمل المستحيل لينفتح على متبنياتنا الدينية

(شاهدة):- لفتت نظري ثقافتك وتمكّنك اللغوي، ولكنك ذهبت بعيدا، فإني لم أرد الجدال الفكري

(جاهزة):- شكرا، إنما أردتُ أن أصحح خطأك، وأراني نجحتُ وقد رأيتك ساكتة مصغية بدقة والحمد لله

(شاهدة):- قد أنصتُّ لعلّي أسمع منك علما، وعلى أي حال فإني قد ازددتُ تأكدا مما كنت أعرف من ثقافتك الدينية وقدرتك التعبيرية، ولكن

(جاهزة):- ولكن ماذا؟

(شاهدة):- دعينا عن هذا، فلنكمل حوارنا.

(جاهزة) - مقاطعة -: أتظنين أن أحدا سينخدع بهذا الذي تفعلينه فيتصور أن وراء هذه الكلمات الغامضة التي تطلقينها علما في داخلك، إني أنصحك بتغيير هذا الأسلوب الخادع المؤذي، فمثلا لو تراءى لك كلام أنه عجيب فعليك أن تذكري السبب بدل أن تكتفي بإطلاق كلمة (**عجيب**) وتسكتي!، و إن لاحظتِ شيئا في كلام أحد، فعليك أن تبيني له ذلك بدل أن تقولي (**ولكن**) - مثلا- فتنهي بذلك النقاش، إني لا أدعك هذه المرة تمرين بسلام وأطالبك بأحد الأمرين

اللذين لا ثالث لهما وهما: إما بيـان ما في بالك من الإشكال على كلامي لأدفعه، أو الاعتراف الـصريح الذي لا لبس فيه بأن الذي قد قلتُه أنا كان صحيحا من دون (**لكن**)

(شاهدة):- « إما البيان أو الاعتراف الصريح الذي لا لبس فيه » لقد حشرتني في زاوية حرجة، فأنّى لي المخرج

(جاهزة):- هنـالك المخرج المعروف والمطـلوب وهو الاعتراف بالحق، إني أتعجب منك كيف لا تجدين الجرأة على الاعتراف بالحق وأنت فتاة واضحة صريحة لم أعهـد فيك اللف والدوران، فماذا أصابك الآن؟

(شاهدة):- رغم جميـع ما قلتِ فإني مـا زلت أرجـح أن أسـكت فأمرّ - حسب تعبيرك - بسلام، أتسمحين؟

(جاهزة):- لا أسمح لك الآن بشيء غير أن تعترفي صراحة، ومن دون « **لكن** » بأن الذي قد ذكرتُه هو الحق، فإنه قد ظهر لي الآن بصورة واضحة أنك لا تملكين دليلا للرد على ما قلت، وأن قولك: (لكن) لم يكن إلا تظاهرا منك بشيء غير موجود في نفسك، وإلا لبيَّـنتِه وارتحتِ وأرَحتِ

(شاهدة):- إذن إني أحاول أن أشرح كلمة (لكن) التي جرت على لساني فورّطَتْني في هـذا المأزق، بل أحاول أن أثبت لك أني لم أكن أستـطيع شرح ما كانت تنطوي عليه كلمـة (لكن) التي ليتني لم أقلها، وأرجو أن تستمعي لي بإنصات.

حينمـا كنت تتحـدثين فإني كنت أستمع إليك بدقـة بحثـا عن علم، ولكني لم أسمع إلا بعض النصوص الدينية التي كنت أعرفها من المقالات الـمشابهة لكلامك، بل إني - وأنا أسمعك - كنت أحاول أن أستذكر نصوصا أخرى كنت أعرفها بقراءاتي المختلفة، فأضمها إلى ما كنت تذكرينه، غير أني لم أجد في تلك النـصوص دعوة إلى الـتجمل والتنـعم فسـألت نفسي في حينـه سؤالا أطرحـه عليك الآن وهو: كيف منحتك تلك النـصوص ذلك الاعتقـاد الراسخ المتجسد في حماسك الذي جعلك تحللين خبايا نفوس الـمخالفين فتصفينها بصفـات سيئة من الحسد والمرض، ولم تمنحني نفس الاعتقاد؟! فهل من الممكن أن تساعديني على حل هذا الإشكال؟.

(جاهزة):- إنها منحتني ذلك الاعتقاد لأني منصفة وأقبل الحق، وأما أنت أرجو أن لا تتأذي

(شاهدة):- إني لا أتأذى من قول الحق وإن كان مُرّا، ولكني أقول: إني أرى نفسي - بشكل

عام - متواضعة للحق غير متكبرة عليه، بل أجدها تبحث عن الحق لتؤمن به، فأيّنا على صواب: أنت التي تتصورين أني لا أقبل الحق، أم أنا التي أرى نفسي منصفة متواضعة للحق؟

(جاهزة):- إن قولك بأنك منصفة هو مجرد ادّعاء، فلو كنت تقبلين الحق لقبلت هذا الأمر الواضح المتجسد في القرآن والسنة والمتأيد بالعقل، إني لا أتهمك بأنك تتعمدين رفض الحق وإنما أتصور أن الرفض يصدر منك من دون قصد..

(شاهدة):- إذن دعيني أخبرك عن نفسي أكثر عسى أن يتحسن فيَّ رأيك: إني بخصوص هذه المسألة وما يرتبط بها كنت أعتقد شبيها بما تعتقدينه الآن، وكنت أتحمس لها بما هو قريب مما قد فعلتِه أنت، ولكني بعد أن أخذت أراجع نفسي ومتبنياتها وجدت أن هذا الذي كان بي لم يكن متخذا في الأساس من القرآن والحديث والعقل، بل كنت في ذلك متأثرة بعوامل نفسية واجتماعية معروفة وغير معروفة، وأني لم أكن ألجأ لتلك النصوص الدينية إلا عند الاحتجاج ولأجل الجدال فقط

وبعد أن قرّرتُ البحث للاعتقاد، لا الاحتجاج، فقمت - فيما قمت - بتوجيه تلك النصوص إلى نفسي بدل توجيهها إلى الآخرين الذين كنت أحاججهم، فلم أجد أنها أثمرت في نفسي إيمانا، بل قد اكتشفت في بحثي أصلا عقائديا مهمّا وهو أن هذه النصوص ليس من شأنها أن تنتج عقيدة

(جاهزة):- ماذا تقولين؟! لو لم يكن القرآن والحديث ينتجان عقيدة فما هو الذي ينتج العقيدة في نظرك؟! أأنت واعية لما يعنيه كلامك هذا؟!

(شاهدة):- إنك قاطعتني ولم تمهليني لأقول: إنه ليس من شأن تلك النصوص أن تنتج عقيدة فلا يمكنها ذلك إلا بتكلف، وإنما الدور الذي بإمكانها القيام به هو المساهمة في إيجاد العقيدة وبلورتها وترسيخها، فهي كغيرها من النصوص المختلفة بحاجة إلى أن توضع وتُلحظ ضمن نطاق تتعاضد فيه النصوص الدينية وتتعاون فيما بينها لهداية نفس الإنسان بما لها من أبعاد مختلفة متشابكة

إني أظن أني قد أثقلت عليك بهذه الكلمات التي قد لا تبدو لك بأكثر من ألفاظ قد تكلّفتُ تعقيدها للتظاهر بالعلم، حيث من الطبيعي إذن أن تستفزّ نفسك وتؤذيها! ولو لم تكوني قد حشرتني في زاوية حرجة لأغنيتك عن كل هذا الكلام، أأسكت؟

(جاهزة):- الحقيقة أني لم أستطع فهم كلامك الأخير فهل تقصدين أن الاستدلال بالقرآن

والسنة لا يصح في المسائل العقائدية؟ أليس هذا أسلوب علمائنا في استدلالاتهم العقائدية منذ قديم الزمان إلى الآن، فماذا تقولين؟

(شاهدة):- إني لم أقل أن الاستدلال بالقرآن والسنة لا يصح في العقائد، والذي أردت قوله هو عدم إمكان الاستدلال على العقيدة بآية أو آيات معينة من القرآن أو شيء من الأحاديث، وأما ما يعمله كثيرون في مقالاتهم وكتاباتهم فهو ليس استدلالا بل جدلا على الأكثر

(جاهزة):- ما هذا؟ أتتهمين العلماء بأنهم يجادلون؟ إنه إساءة بالغة لهم فكيف تجرئين على ذلك؟!

(شاهدة):- ليس الجدل مذموما على إطلاقه، بل هو حسن، بل ضروري في بعض الحالات، كما في حالتي أنا حيث لم أجد بُدًّا من مجادلتك، فبدأت أفعل كما ترين

(جاهزة) - **مقاطعةً** -: هكذا إذن! فقد كنت تجادلينني؟! الحمد لله الذي جعلك تعترفين بنفسك لئلا أنخدع بك فقد كاد الضعف تجاهك يتسرب إلى نفسي

(شاهدة):- إني لم أقصد خداعك، وإنما...

(جاهزة):- ما هذا؟! أتريدين أن تقولي: إنما أردت مجادلتي ولم تقصدي مخادعتي، وتتوقعين مني أن أصدقك في هذا الادعاء؟! لم أتوقع أن تكوني ساذجة بهذه الدرجة

إن للجدل معنى واضحا يعرفه كل الناس وهو دفاع المرء عن الباطل وصياغته صياغة تجعله ينطلي على من يسمعه فيتصوره حقا، فالمجادل لا يقصد إلا الخداع، فكذلك أنت إنما كنت تريدين خداعي بجدالك أليس كذلك يا عزيزتي (شاهدة)؟!

(شاهدة):-

(جاهزة):- لا أقبل منك السكوت وإن كان دليل استسلام، بل اعترافا صريحا بأنك أردت خداعي كما اعترفتِ قبلئذ بأنك كنتِ تجادلين هيّا اعترفي بصراحة

(شاهدة):- أتمنى أن تمنحيني فرصة لأن أوضح لك ما قصدتُ قوله، وتنصتين لي ولا تقاطعيني، فهل تفعلين؟

(جاهزة):- كنت لا أريد أن أرضى منك إلا بالاعتراف الصريح لكنك قد كسرتِ خاطري

فتكلمي إن كان لك كلام ولكن عليك أن تعلمي أني سوف لا أنخدع بجدلك بعد الآن مهما بذلتِ له من الجهد

(شاهدة):- كنتُ أقول: إني لم أقصد خداعك وإن كنتُ أجادل، فإن الجدل ليس كله خداعا، وإلا لم يأمر الله عزّ وجلّ به نبيّه بقوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)

(جاهزة):- ذلك الذي أمر الله به النبي (ص) هو الجدال بالتي هي أحسن فهو جدال مختلف

(شاهدة):- لقد أحسنتِ، فإني كنت أريد هذا الذي ذكرتِه أنت ولكنك لم تمهليني لأقول: إن الجدال بالباطل هو الذي يكون خداعا لا الجدال بالتي هي أحسن الذي كان الله عزّ وجلّ قد أمر به نبيّه صلّى الله عليه وآله، وإني كنت أريد هذا النوع من الجدال معك، أي أردتُ مجادلتك من دون أن أخدعك

(جاهزة):- كيف يمكن المرء أن يجادل أحدا من دون أن يخدعه؟! لا يكون تدّعين أنك إنما تقولين لي الحق وأنت تجادلينني!

(شاهدة):- هل كان النبي (ص) يخدع أهل الكتاب وهو يجادلهم؟!

(جاهزة):- قطعا لا، فإن النبي (ص) لا يقول إلا حقا، ولا يخدع أحدا، وليس عمل النبي (ص) كعمل أحدٍ من الناس فقد كان هو يعمل المعاجز والخوارق، فهل تستطيعين أنت أن تفعليها؟

(شاهدة):- دعينا عن جدال النبي (ص) وما تتصورينه من غموضه، ولنبحث الجدال بالتي هي أحسن الذي كان الله عزّ وجلّ قد أجازه للمسلمين بقوله: (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فهل أجيز لهم الخداع وقول الباطل، أم ماذا؟

(جاهزة):- الحقيقة إني لا أدري ماذا تعنى الآية بالضبط، ولكني لا أستطيع قبول ما تدعينه أنت من أن الآية الكريمة تعني أن الجدل قد يكون بالحق

(شاهدة):- كأني أعرف سبب رفضك لذلك الرأي، فهل تسمحين لي بأن أشرح ما أخمنه، فإني أظنه نافعا؟

(جاهزة):- أتعرفين ما في النفوس؟ إنك إذن لمخيفة!، وعلى أي حال فإنك قد أثرتِ في

نفسي حب الاستطلاع، فارجمي بالغيب لأرى

(شاهدة):- إنه ليس من الرجم بالغيب، بل هو أمر ميسور لكل من تهيّأت له دراسة نفسه وملاحظة نفوس الآخرين

وعلى أي حال فإني أتصور أنه لا توجد في بالك إلا الصورة المتعارفة عن الجدل، وهي أن الجدل لا يكون إلا بالباطل، وهي مترسخة في نفسك بدرجة أنها لا تكاد تستطيع استقبال أية صورة مخالفة، وبما أن نفسك كانت قد استوحتها بشكل مباشر من البيئة ومن دون تعقل، ثم تفاعلت معها لتصبح بالتدريج كحقيقة ثابتة لا تقبل الشك! فلا تسمح لذهنك أن يستقبل ويتعقل أي مفهوم مخالف للصورة الموجودة في نفسك عن الجدل بل تأمره بمطاردة المفهوم المضاد ومحاربته، وإن لم يستطع ذهنك أن يمنع المفهوم المعادي من اقتحامه أمرَتْه نفسك ليحوّله إلى مفهوم ذهني بحت، فلا يستطيع التسرب إلى نفسك - إذن - ليصطدم هنالك بالصورة الموجودة عن الجدل

ومعلوم أني لم أذكر مفهوم الجدل إلا لأشير من خلاله إلى أصل مهم من أصول تعامل النفس مع الصور التي تعتقدها، وهو أن أية عقيدة حاصلة في النفس عن طريق غير الفكر لا يمكنها أن تتأثر بالدليل الذي لابدّ من مروره عبر الفكر، فلا يُتوقع أن يتخلى عنها صاحبها مهما أقيم له الدليل على بطلانها، وغاية ما يُنتظر منه هو أن يتفهمه بذهنه ويجمده هنالك!، فتبقى النفس معتقدة بما تعتقده، بل - وبتعبير صحيح - تظل النفس مشدودة ومتعصبة إلى الصورة الموجودة فيها

إن كانت الصورة الموجودة في نفس المرء قد أتتها بالتعقل فالمفروض إذن أن أي تساؤل ذهني جديد بشأنها يؤثر في نفسه اهتزازا متناسبا لأهمية التساؤل فيهيؤها لتوقُّعِ تغيّرٍ قد يؤدّي إليه التساؤل الحاصل، أليس كذلك؟ وهل أثقلتُ عليك؟ إذن أنا آسفة

(جاهزة):- لا، أبدا، بل كان حديثك شيقا، ألم تلحظي أني كنت متفاعلة؟

(شاهدة):- أجل أجل، فقد كنت ألاحظ أنك مشدودة إلى الحديث، وتحركين رأسك باستمرار، وتكررين كلمة (نعم)، ولكنه الوسواس الذي قد رسّختْه في نفسي تجاربي المتكررة مع الناس، فجعلني أشك في كون الموضوع مفهوما لك، ومتقبَّلا منك، فالحمد لله الحمد لله إني أعتزّ بك يا حبيبتي (جاهزة)

(جاهزة) - باستغراب -: ما هذا؟! وعمَّ تتحدثين؟! أعَن هذا الذي تكلمت به قبل

قليـل؟! أفعـلاً كنت تتخيلين أني قد لا أستطيع فهم ذلك الكلام؟! إنه ـ يا (شاهدة) ـ كلام معروف لي منذ مدة طويلة، أتزعمين أنك وحدك التي قرأته في مقال أو سمعته من متحدث، وأما الناس غيرك فهم جميعا عُميٌ لا يبصرون، وصُمٌّ لا يسمعون؟! أو أنه لم يُطبع من الـكتاب الذي احتوى على تلك الفكرة إلا نسخة واحدة فقـط وهي التي وقعت بيدك أنت، أو أن الذي كلّمك بذلك الكلام مات قبل أن يحدّث به غيرك!!

إني أخشى أنك قد فهمتني خطأ فاعتبرتِ تفاعلي مع كلامك دليلا على أني وجدت الفكرة التي طرحتِها جديدة وعظيمة فانبهرت بها!، الحقيقة أني كنت أجاريك حيث كنت أجد الكلام صحيحا، وكانت صيـاغتك لـه جيـدة نسبيـا، مضـافا إلى أني أحب هـذا النمـط من الـكلام الذي يحتوي على التحليلات السيكولوجية، وبالأحرى: (سيكو انااليسيس) كما يسمونه، وإن كنت أعرفه مسبقا

ولا أنكر أن كلامك ذاك قد غير نظرتي تـجاهك، أيضـا فقد كنتُ أتصورك جاهـلة بهذا النمط من المواضيع

(شاهدة):ـ هل لك أن تدليني ـ مشكورة ـ على كتـاب تطرق إلى الفكرة التي أشرت إليـها، فإني أبحث عنه منذ حين؟

(جاهزة):ـ لا أظنك جادّة، هل من المعقول أنك لا تعلمين بوجود كتب تذكر هذا النوع من المسائل؟! ألم تأت أنت بهذه الفكرة من كتاب؟!

أجـل يا عزيزتي (شاهدة) إني أعتقـد أنك تعـلمين مثـلي أن الـكتب التي تتـطرق إلى هـذا النوع من الأفكار لا تُعدّ ولا تُحصى، فمثلا جميع كتب التفسير تشرح الجدل المذكور في القرآن الكريم

(شاهدة):ـ آه!

(جاهزة):ـ ماذا دهاك؟، إني آسفة لو كنت قد سببت لك الأذى من دون قصد، ويجب أن لا يتضايق المرء مما يقال في المناقشة وإن كان جارحا، أليس كذلك؟

(شاهدة):ـ إني لم أتأذّ من كلامك، ولا منك

(جاهزة):ـ فممَّ الأذى؟ أخبريني لعلي أستطيع علاجه، وهذا من حقك عليّ كأخت في الإيمان، خاصة وأني أحبك، وأنت تعلمين ذلك، فهيّا!

(شاهدة):- شكرا لك على الاهتمام، وجزاك الله عن أخوّتك خيرا، ولكنك لا تستطيعين إزالة هذا التأذي، فلا تهتمي به

(جاهزة):- إني لا أتركك هكذا، هيّا اذكري، ولا تطوّلي

(شاهدة):- لا أستطيع أن أفهّمك مشكلتي، فأرجو أن تعذريني

(جاهزة):- لعلك لا تعلمين أن لي باعا طويلة في فهم أسباب التأذي بدراستي لعلم النفس واهتماماتي السيكولوجية وتجاربي الكثيرة حيث تلجأ إليّ كثيرات من النساء لبثّ همومهن وعلاج مشاكلهن، فإني أفهم أسباب المشاكل مهما كان نوعها، فهيّا، ولا تترددي

(شاهدة):- ليست مشكلتي من ذلك النمط المعروض عليك، فأعذريني

(جاهزة):- إني بدأت أحس بالتحدي، فلا يمكنني تركك الآن من دون أن أعرف المشكلة، فهيّا

(شاهدة):- إني أعلم أن فيك عنادا: لو أمسكتِ بشيء لا تتخلين عنه، فبذلك أجدني مضطرة لأتكلم عن مشكلتي باختصار ليتبين لك أنها تختلف عن المشاكل المتعارفة التي قد جربتها أنت في حياة الناس:

إن المشكلة التي أعاني منها دائما هي الاعتقاد...

(جاهزة) - مسارعة -: جيّد، لِمَ لم تخبريني من الأول بأنك تعانين من الضعف العقائدي؟ فلو كنت قد أخبرتني بذلك لحللتُ مشكلتك من زمان كما استطعت والحمد لله أن أجعل عددا من النساء مؤمنات متدينات جدا، بعد أن كنّ غير مؤمنات، أظنك تعرفين هذا الأمر فكيف تزعمين أني لا أتفهم مشكلتك، إني سأعطيك بعض الكتب المناسبة في العقائد لتقرئيها وسأعينك في فهمها، وأقدم لك مجموعة من محاضرات (الـ..) و(الـ..) و...، آه، لقد تذكرت أنك كنت مغرمة بشراء الكتب العقائدية فأظن أنك تملكين مجموعة كبيرة منها، فأنت لست بحاجة إلي أن أعطيك كتبا، بل بحاجة إلى مساعدتي لتفهميها، اتفقنا، أليس كذلك؟

(شاهدة):- ألم أقل لك أنك لا تفهمينني؟!

(جاهزة):- كيف وقد فهمت مشكلتك بمجرد أن بدأتِ بذكرها وقبل أن تشرحيها؟!

(شاهدة):- من أين عرفت أن مشكلتي هي الضعف في العقيدة؟ ثم كيف علمت أن الكتب التي أشرت إليها تعالج ذلك الضعف المزعوم، وأنت اعترفت بنفسك بأني كنت مهتمة بذلك النمط من الكتب، ومنذ فترة طويلة

إن مشكلتي هي تلك التي كشف الحوار الذي جرى بيني وبينك جانبا منها، إنها مشكلة منهج الاعتقاد الصالح، والذي يوجد في بالي تصور عنه، وعلى ضوئه كنت أتجنب الدخول معك في المناقشة حيث رأيت أنها لا تنتج الاعتقاد الصالح، بل تضره وتبعد المرء عنه، ولكنك أصررت فاضطررتُ أن أجادلك بالتي هي أحسن، حيث لا يضر إن لم ينفع، وطيّ الحوار، وبين حين وحين كان يتراءى لي كأن نفسك تتهيأ للتطلع إلى الحق والبحث عنه فكنت أستغلها فرصة فأطرح بعض المؤشرات إلى أن أشرت إلى صورتي الجدل الموجودتين في نفسك لأنبهك إلى مشكلة عامة يواجهها الاعتقاد، وتفاءلتُ خيرا حين لاحظتُ منك اهتماما

ولكني تألمت كثيرا حين وجدت أن الفكرة التي حاولت نقلها إليك قد انحرفت عن مسارها وانزلقت في منزلق خطر كنت أعرفه وأخافه دائما وبشدة، أي أن ذهنك قد تلقى الفكرة باعتبارها ذلك المعنى المعروف للجدل المنتشر في التفاسير فحسب، وقد فجعني ذلك إذ تبين لي أن الفكرة الدقيقة التي كنت أعتقدها مؤشرا مهما من مؤشرات المعرفة قد تشوهت.

ثم وإثر إلحاحك عليَّ بأن أذكر لك المشكلة بدأتُ بالمحاولة وأنا يائسة من النجاح، فبمجرد أن ذكرت كلمة الاعتقاد فقد وقعت الواقعة مرة أخرى حيث انزلقت الكلمة إلى حفرة في نفسك فأثارت فيك من الإحساس ما جسّدته كلماتك المخلصة الأخيرة!!

(جاهزة):- إني لم أفهمك، فهل لك أن توضحي لي ما ذكرتِه فإني بدأت أحس بالحيرة في أمرك فكأني أحتمل أن في بالك شيئا

(شاهدة):- لا يمكنني التوضيح، خصوصا وأن تجربتي معك طي هذا الحوار لم تكن ناجحة، إلا أن يكون الاحتمال الذي بدأت بالإحساس به من النمط الذي يمكن أن يتحول في نفسك إلى أساس لانطلاقة جديدة، فذلك إذن يعتبر نفعا عظيما يعوض كل الآلام والتعب...، وعلى أي حال فإني أظن أنك تأذنين لي الآن بالذهاب، وهذا في نفسه مكسب، فالسلام عليك